أهمية التدخل المبكر لكشف و علاج صعوبات التعلم النمائية للحد من صعوبات التعلم الأكاديمية

نسيمة تواتي أوشيش
أستاذة مساعدة أ
جامعة الجزائر 2

الملخص:

يعد اتقان القراءة ضروريا لتمدرس ناجح ومنسجم ولإدماج اجتماعي ومهني. فالكثير من الأطفال يبدون على مستوى التعلم المدرسي، ولقد لاحظنا كارطوفونيين في الصحة المدرسية منذ 15 سنة أن التكفل المبكر بالصعوبات في مستوى العمليات المعرفية (الانتباه، الإدراك الذاكرة واللغة) يسمح بالوقاية من صعوبات التعلم المدرسي، وبالأحرى الفضل الدراسي.

انطلاقا من ملاحظاتنا انشأنا في إطار البحث العلمي برنامجا ملائما لإعادة التأهيل يستهدف مساعدة طفل ما قبل لمدرسة (5-6 سنوات) للتحكم في هذه العمليات المعرفية الضرورية لتعلم اللغة الكتابية. التكفل بهؤلاء الأطفال يعد هدفا رئيسيا يهتم بالنمو لأن الأطفال الذين يعانون من هذه الصعوبات يمثلون عددا معتبرا في وضعية الفشل الدراسي.

الكلمات المفتاحية: التكفل المبكر – العمليات المعرفية – صعوبات التعلم المدرسي – الفشل الدراسي.

Résumé

Le savoir lire est indispensable à une scolarité harmonieuse et réussie puis une insertion sociale et professionnelle.

De nombreux enfants présentent des difficultés au niveau de l'apprentissage scolaire.

Nous avons constaté, en tant qu'orthophoniste de santé scolaire depuis 15 ans, qu'une prise en charge précoce des difficultés au niveau des opérations cognitives (Attention – perception – mémoire et langage) permet de prévenir les difficultés d'apprentissage scolaire et notamment l'échec scolaire.

A partir de nos observations et constatation, nous avons créé, dans le cadre d'une recherche scientifique, un programme de rééducation approprié qui vise à amener l'enfant du préscolaire (5-6 ans) à maitriser ces opérations cognitives nécessaires à l'apprentissage du langage écrit.

La prise en charge précoce des difficultés des opérations cognitives est l'objectif principal de toute personne s'intéressant au développement des jeunes enfants, parce que les enfants qui souffrent de ces difficultés représentent une part importante des élèves en situation d'échec scolaire .

Mots clés : prise en charge précoce, opérations cognitives, difficultés d'apprentissage scolaire, l'échec scolaire.

مقدمة :

بعد الاهتمام بالعملية التعليمية – التعلّمية و العمل على تحسينها من الأمور المهمة التي تهتم بها كافة دول العالم، نظراً لدور التعليم في تقدم المجتمعات و رقيها. وقد ركزت الاتجاهات التربوية الحديثة على تنمية إمكانات المتعلمين و قدراتهم الذهنية على أفضل وجه ممكن لما لها من أهمية في تطوير المجتمع و تقدمه.

والكلام عن التعلم يجـــرّ لأن تتمثل في أذهاننا جملة من النشاطات الفكرية والثقافية التي يمارسها المتعلم في محيط المدرسة، من أجل تحصيل واكتساب مجموعة من المعارف والقيم و الكفاءات التي تؤدي به إلى تعديل سلوكه، وتكوين عواطفه واتجاهاته، وكسب عادات وأساليب ومهارات في العمل والأداء.

ونظراً لأهمية هذه النشاطات في تكوين شخصية المتعلم سلطت الدراسات العلمية الحديثة جل اهتماماتها على علاقة المتعلم بهذه الأنشطة باعتباره العنصر الفاعل فيها، فأخذت تبحث عن الصعوبات التي يواجهها المتعلم خلال عملية التعلم بهدف معالجتها في حينها حتى لا تعرقل مسيرة عملية التعلم لدى هذا الأخير.

أهمية المشكلة :

تعد صعوبات التعلم من الموضوعات المهمة منذ الستينات إلى يومنا هذا في مجال التربية الخاصة و التي أعطيت اهتماما كبيرا من المهتمين على اختلاف اختصاصاتهم، بالأطباء والعلماء وعلماء النفس وعلماء التربية وعلماء الاجتماع والمعلمين والأولياء وغيرهم، لتزايد أعداد المعانين منها نتيجة وبكل رئيسي، للتطور الحاصل في أدوات وعمليات الكشف والتشخيص والتقييم،

والوعي المتزايد لأولـياء الأمـور بخطورة هذه المشكلة والنتائج المترتبة عنها على مستوى الفرد والمجتمع.

وتعد هذه الفئة من الفئات الحديثة نسبيا قياسا بالفئات الأخرى، لكنها تشكل شريحة كبيرة تفوق كل فئات التربية الخاصة. (قحطان أحمد الظاهر، 2004)

فـقد كان اهتمام التربيـة الخاصة سابقا منصـبّاً على أشـكال الإعاقات الأخرى، كالإعاقة العقلية، والسمعية والبصرية والحركية، ولكن بسبب ظـهور مجموعة من الأطفال الأسوياء في نموهم العقلي والسمعي والبصري والذين يعانون من مشكلات تعلمية، فقد بدأ المختصون في التركيز على هذا الجانب بهدف التعرف على مظاهر مشكلة صعوبات التعلم وخاصة في الجوانب الأكاديمية منها. (يحي محمد النبهان، 2008)

وبدأ الاهتمام بهذا الميدان في النصف الثاني من القرن العشرين، في بداية الستينات على وجه التحديد، وذلك من أجل تقديم الخدمات التربوية والبرامج العلاجية لهؤلاء الأطفال الذين يتعرضون لأنواع مختلفة من الصعوبات تقف عقبة في سبيل تقدمهم العلمّي وتحصيلهم الدراسي مؤدية إلى الفشل التعليمي أو التـسرب من الـمدرسـة، إذا لم يتم مواجهتها والتغلب عليها. (أحمد عواد، 2007) .

وتكمن الخطورة في مشكلة صعوبات التعلم في كونها « صعوبات خفيّة « فالأفراد الذين يعانون من صعوبات التعلم هم أطفال أسوياء لا يعانون من أية إعاقة ظاهرة (كالإعاقة السمعية أو العقلية أو البصرية)، ولا يلاحظ المعلم أو الأهل أية مظاهر شاذة تستوجب تقديم معالجة خاصة، ولا يجد المعلمون ما يقدمونه لهم إلاّ نعتهم بالكسل و اللامبالاة أو التخلف والغباء، وتكون النتيجة الطبيعية لمثل هذه الممارسات تكرار الفشل والرسوب وبالتالي التسرب من المدرسة في نهاية المطاف. (يحي محمد النبهان،2008) .

ولقد حظيت قضية الكشف المبكر عن ذوي صعوبات التعلم باهتمام مطرد ممن الممارسين والآباء، وعلماء النفس والمشتغلين بالتربية الخاصة، والمنظمات والهيئات المهنية على حد سواء، ورغم تباين الأسس التي يقوم عليها هذا الاهتمام، إلاّ أن هناك إتفاقاً بين هذه الفئات على أهمية الكشف المبكر عنهم و تحديدهم و تصنيفهم إنطلاقاً من أنّ قابلية هذه الفئة لإحراز أي نجاح تربوي تتضاءل بإطراد مع تأخر الكشف عنهم، فضلاً عن التأثير الايجابي لذلك على فعالية البرامج و الأنشطة المعدّة لعلاجهم. (مصطفى الزيّات، 2008).

ولقد وجه العديدون النقد للنظرة التي تقتصر على الكشف عن صعوبات التعلم المدرسية فقط، إنّ عناصر التعلم كالإدراك والانتباه والذاكرة واللغة تدخل كلها في عديد من الصعوبات الأكاديمية . (محمد عبد الرحيم عدس، 2000).

أنواع صعوبات التعلم :

يتمايز مجال صعوبات التعلم تحت صنفين رئيسيين هما: صعوبات التعلم النمائية، وصعوبات التعلم الأكاديمية.

ويقصد بصعوبات التعلم النمائية تلك الصعوبات التي تتناول العمليات ما قبل الأكاديمية، والتي تتمثل في العمليات المعرفية المتعلقة بالانتباه والإدراك والذاكرة والتفكير واللغة و التي يعتمد عليها في التحصيل الأكاديمي، وهذه تشكل أهم الأسس التي يقوم عليها النشاط العقلي المعرفي للفرد، ومن ثم فإن أي اضطراب أو خلل يصيب واحدة أو أكثر من هذه العمليات يفرز بالضرورة العديد من الصعوبات الأكاديمية، ولذا يمكن التقرير أنّ الصعوبات النمائية هي منشأ الصعوبات الأكاديمية اللاحقة و السبب الرئيسي لها . (مصطفى الزيات، 2008) .

إن أي تأخر في تحديد أو تشخيص و تقويم و علاج صعوبات التعلم النمائية خلال سنوات ما قبل المدرسة، تفرز و تقود بالضرورة إلى صعوبات التعلم الأكاديمية عندما يصل أطفال ما قبل المدرسة إلى المرحلة الابتدائية .

ويرى العديد من الباحثين أنّ أطفال ما قبل المدرسة ذوي صعوبات التعلم النمائية يحتاجون إلى استراتيجيات نوعية للتدخل العلاجي المبكر، لإكسابهم المهارات الأساسية للتعلم الأكاديمي عن طريق تشخيص وتقويم هذه الصعوبات و الوقاية منها وعلاجها .

ويذكر (Fletcher et Forman 1994) أنّه لكي نصل بفاعلية لعلاج ذوي صعوبات التعلم الأكاديمية إلى الحد الأقصى لها، يجب أن يكون التركيز على الوقاية و التدخل المبكرين بالنسبة لصعوبات التعلم النمائية .

وقد لاحظنا من خلال ممارستنا اليومية في المهنة لعملية الكشف المبكر عن هذه الصعوبات بنوعيها، لعدّة سنوات، بأنّ التدخل المبكر لتشخيص وعلاج النمائية منها (ذاكرة – انتباه – إدراك – لغة) يساعد على الحد والوقاية من العديد من الصعوبات الأكاديمية لاحقاً، و بالتالي يساعد على تجنب الفشل المدرسي مستقبلاً.

وانطلاقاً من الأطر النظرية التي اهتمت بالتدخل المبكر للكشف والعلاج الخاص بصعوبات التعلم النمائية، قمنا بإعداد برنامجاً علاجياً مبكراً لعلاج هذه الصعوبات المتمثلة في (الانتباه، الذاكرة، الإدراك و اللغة).

يتضمن البرنامج العلاجي المقترح مجموعة كبيرة من الأنشطة والتمارين المتنوعة، وقد تحدد الهدف الرئيسي للبرنامج في تدريب التلاميذ الذّين يعانون من صعوبات تعلم نمائية على بعض العمليات المعرفية، بغرض تحضيرهم للمدرسة وتجنيبهم الصعوبات الأكاديمية مستقبلاً.

وانطلاقا من الأطر النظرية التي اهتمت بالتدخل المبكر للكشف والعلاج الخاص بصعوبات التعلم النمائية، قمنا بإعداد برنامجاً علاجياً مبكراً لعلاج هذه الصعوبات المتمثلة في (الانتباه، الذاكرة، الإدراك واللغة).

يتضمن البرنامج العلاجي المقترح مجموعة كبيرة من الأنشطة والتمارين المتنوعة، وقد تحدد الهدف الرئيسي للبرنامج في تدريب التلاميذ الذّين يعانون من صعوبات تعلم نمائية على بعض العمليات المعرفية، بغرض تحضيرهم للمدرسة وتجنيبهم الصعوبات الأكاديمية مستقبلاً .

و لقد اعتمدنا في بناء برنامجنا على خبرتنا الطويلة كمختصة في التدخل المبكر لعلاج الصعوبات المدرسية و صعوبات التواصل في إطار الصّحة المدرسية الجوارية ببوزريعة الجزائر . كما تمت الاستفادة في إعداد النشاطات و الألعاب التربوية المتضمنة في البرنامج من : كتب الأطفال الخاصة بالمرحلة ما قبل المدرسية، وبرامج رياض الأطفال .

وتتمثل الأهداف المسطرة في برنامجنا في: علاج اضطرابات الانتباه و الإدراك و الذاكرة واللغة، لدى تلاميذ المرحلة التحضيرية (5 ـــ 6 سنوات) المعانين لصعوبات تعلم نمائية.

كما هدفت الأنشطة اللغوية المقترحة في برنامجنا إلى تعزيز و تثبيت المفاهيم القاعدية الضرورية لتعلم و اكتساب اللغة الشفهية ثم المكتوبة و هي : الصورة الجسدية، مفهوم الزمان، مفهوم المكان، الجاذبية، الألوان الأشكال، الأحجام.

إضافة إلى تدريب الأطفال على التعبير الشفهي، الفهم الشفهي.

ونشير إلى أنّ أهم شرط أكدنا عليه عند بناء برنامجنا هو تدرج الأنشطة المختلفة من الأسهل إلى الأصعب حتى يصل الطفل إلى مستوى جيد، و يعاد التدريب عدّة مرات في حالة ما إذا فشل في الوصول إلى المستوى المرجو و المطلوب من الجودة و الإتقان.

ولقد تم تطبيق و دراسة و معالجة برنامجنا العلاجي في إطار دراسة ميدانية، وتمثلت عينة الدراسة في 23 حالة متمدرسة في القسم التحضيري، الحالات كلها تعاني من صعوبات التعلم النمائية 10 حالات ضابطة و13 حالة تجريبية، يتراوح سنهم بين 5 و6 سنوات من العمر.

ولقد تم تقويم البرنامج العلاجي المقترح في ضوء الأهداف و الأسس التي يستند عليها.

وتضمنت إجراءات التقويم عدّة خطوات تتمثل فيما يلي :

- إجراء اختبارات قبلية لتحديد مستوى الأطفال و تحديد جوانب الضعف لديهم من حيث الصعوبات النمائية (انتباه، إدراك، ذاكرة، لغة).
- تدريب التلاميذ على النشاطات التربوية المقترحة، و تصحيح أخطاءهم عن طريق تكرار التدريب عليهم حتى يصلوا إلى مرحلة الجودة و الإتقان.

- التقويم النهائي : عن طريق عادة تطبيق الاختبارات الخاصة بالصعوبات النمائية المستعملة في القياس القبلي على عينة الدراسة، و المقارنة(عن طريق معالجة إحصائية) بين نتائجهم قبل و بعد البرنامج للوقوف على فاعليته في علاج هذه الصعوبات .

وللوقوف على مدّى فعاليته في الوقاية من الصعوبات الأكاديمية تمت متابعة تلاميذ عينتنا حتى وصولهم إلى المرحلة الابتدائية (السنة الأولى)، ومتابعة نتائجهم في التحصيل الأكاديمي و مقارنته مع نتائجهم من قبل.

أخيراً، و من خلال ما أسفرت عليه النتائج الأولية لدراستنا، يمكننا تقديم مجموعة من التوصيات الهادفة إلى تطوير برامج التدخل المبكر لصعوبات التعلم النمائية، و الاهتمام بالأطفال المعانين من هذه الصعوبات :

1) يجب أن تتبنى برامج التدخل المبكر فلسفة واضحة تعمل بمثابة الموجه والدليل إلى العمل مع الطفل وأسرته.
2) يجب أن تحدد برامج التدخل المبكر المكونات الرئيسية للخدمات المقدمة، كيفية تحقيق تلك المكونات للأهداف الموجودة.
3) يجب أن تُكيّف برامج التدخل المبكر الفردية للأطفال وأسرهم، أما البرامج التي تفتقر إلى المرونة و تحديد عناصرها مسبقاً ولا يجرى عليها أي تعديل فهي برامج تفتقر إلى الفاعلية.
4) يجب أن تعتمد برامج التدخل المبكر المحكات التالية للتحقق من فاعليتها: التشخيص، شدة الإعاقة، عمر الطفل عند التحاق بالبرنامج، مدّة التدخل وكثافته .

وأخيراً نقول أن الكشف المبكر عن صعوبات التعلم قبل دخول الطفل المدرسة له أثره الايجابي الكبير في تهيئته بشكل حقيقي لمتطلبات المرحلة اللاحقة، و هي مرحلة الدراسة للسير بخطى سليمة بعيدة عن التعثرات التي قد يكون لها أثر كبير في الطفل ومستقبله الأدائي .

يتم ذلك من خلال القياس و التقييم المبكر الذّي يؤدي إلى وضع برامج تربوية صحيحة لعلاج الصعوبات التي يعاني منها الطفل .

إن الكشف المبكر يؤدي إلى علاج مبكر بشكل أسهل بكثير مما لو تأخر، فضلا عن التهيئة الحقيقية لمتطلبات المدرسة، ويفترض أن يكون التشخيص فرديا لمظاهر النمو المختلفة الحركية، العصبية، النفسية، واللغوية والاجتماعية .

المراجع :

1. أحمد عواد (1997) « علم النفس التربوي و صعوبات التعلم «، الإسكندرية، مصر، المكتب العلمي للكمبيوتر و النشر و التوزيع .
2. قحطان أحمد الظاهر (2004) « صعوبات التعلم «، عمان، الأردن، دار وائل للنشر والتوزيع.
3. محمد عبد الرحيم عدس (2000) « صعوبات التعلم «، عمان، الأردن، دار الفكر للنشر والتوزيع.
4. مصطفى الزّيات (2008) « بطارية مقاييس صعوبات التعلم «، مصر، دار النشر للجامعات.
5. يحي محمّد النبهان (2008) « الفروق الفردية و صعوبات التعلم « عمان، الأردن، دار اليازوري العلمية للنشر و التوزيع .